# المبحث الرابع

# إسناد فعل الخلق للمسيح

لقد أسند المسيحيون للمسيح فعل الخلق أي هو الخالق ومن ثمة، فهو الله، ودليلهم بعض النصوص يرون أن فيها سندا قويا لاعتقادهم هذا.

يقول حنا جرجس: "أقنوم الابن "اللوغوس" هو الخالق كما يقول الوحي المقدس: (كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ)[1].

هذا النص قد اقتطعه القمص من السياق الذي ورد فيه وهو قول يوحنا: (فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ.2هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللَّهِ. 3 كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كان)[2]. إذا فالنص واضح. وكما بينت سابقا فأنه بالأمر الإلهي تم الخلق، لكن القمص اقتطع النص من سياقه ليقول إن الخالق هو المسيح؛ إلا أنه لم يفلح في هذا الأمر، فالنص يجب أن يفهم في إطار السياق الذي ورد فيه.

ومن النصوص التي تعتبر كذلك حجة عندهم في إثبات فعل الخلق إلى المسيح أذكر:

ورد في كولوسي: (اَلَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ 14، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ)[3]. ويقول أنطونيوس فكري: "بكر كل خليقة = كلمة بكر في اليونانية تشير لمعنى المولود الأول، فالمسيح أو الابن هو مولود من الآب وليس مخلوق، التعبير لا يعنى أول خلق الله. وكلمة "بكر" تعنى رأس أو بداءة أو مُبدئ كل خليقة الله، "فكل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان" (يو1 :3). والخليقة مخلوقة وليست مولودة. ونفهم قوله "بكر كل خليقة" أنه المتقدم الذي يفوق الخليقة كلها، وهو قبل كل الخليقة وقبل الزمن؟. ونسمع بعد ذلك أنه هو الخالق، فكيف يكون خالقًا ومخلوقًا في الوقت نفسه = الكل به. وإذا كان هو خالق الكل. فهل خلق نفسه؟"[4].

---

(1) يوحنا 3/1.

(2) يوحنا1/1-3.

(3) رسالة بولس إلى أهل كولوسي15/1.

(4) http://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-02-New-Testament/Father-Antonious-Fekry/12-Resalet-Kolosy/Tafseer-Resalat-Colosy__01-Chapter-01.html

هذا المفسر بعدما قال إن كلمة "بكر" في اليونانية تعني المولود الأول، حاول التهرب كي يثبت أن المسيح هو الخالق بقوله: التعبير لا يعني أول خلق الله. وكلمة "بكر" تعني رأس أو بداءة أو مبدئ كل خليقة. وإذا كان هو خالق الكل فهل خلق نفسه؟

إن من يتتبع هذا التفسير يكتشف تناقض المفسر مع نفسه، لأنه لو كانت كلمة "بكر" تعني المولود الأول، كما قال، فكيف يكون المولود خالقا!؟ وكيف يمكن لله أن يلد!؟ وقوله أن المسيح خالق الكل، فهذا تفسير تعسفي لا غير لأن النص لم يقل بذلك.

وهناك من المسيحيين من فسر النص بغير ما ذهب إليه أنطونيوس فكري. فوليم أدي ربط ذلك بالمكانة السامية للمسح ولم يفسر ذلك بأن المسيح هو الخالق، يقول: "دعي كذلك بيانا لكونه الأول في محبة الآب واعتباره كما في قوله: (وَأَيْضاً مَتَى أَدْخَلَ الْبِكْرَ إِلَى الْعَالَمِ)[1]. ولكونه فوق كل الخلائق في العظمة ووقت الوجود"[2]. وهو نفس تفسير "الموسوعة الكنسية" إلا فيما يخص وقت الوجود، تقول الموسوعة: "فكلمة "بكر" لا تعني الأسبقية في الوجود، ولكنها تفيد الأسبقية في العظمة والمجد"[3].

إذا، لو كان المسيح فعلا هو الخالق، فلا أظن أن وليم أدي يغفل هذا الأمر، لذلك اعتبر النص ما هو إلا حديث عن مكانة للمسيح فاق بها الخليقة وليس أنه هو الخالق.

وبهذا فإن المسيح ليس بكر الخليقة بمعنى الخالق وإنما باعتبار المخلوق الأول، والكلمة اليونانية المستعملة تؤكد هذا الأمر. وهي Prototokos . πρωτότοκος كما جاء في العهد الجديد يوناني عربي.

وقد ورد في الفهرس العربي لكلمات العهد الجديد اليونانية[4] وتحت كلمة بكر πρωτότοκος prototokos، ذكر لمجموعة من النصوص وهي في الحقيقة تعني الأول وليس الخالق، وهي كالآتي:

- متى: (وَلَمْ يَعْرِفْهَا حَتَّى وَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ)[5].

---

(1) الرسالة إلى العبرانيين6/1.

(2) "الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، شرح الرسالة إلى أهل كولوسي"، وليم أدي، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ببيروت 1973، ص: 9.

(3) "الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد، تفسير رسائل بولس الرسول من كونثوس الأولى حتى فيلمون"، ص: 369 .

(4) "الفهرس العربي لكلمات العهد الجديد اليونانية"، صنفه القس غسان خلف، دار النشر المعمدانية بيروت لبنان، ص: 683.

(5) متى 25/1.

- لوقا: (فَوَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ)[1].
- رومية: (لِيَكُونَ هُوَ بِكْراً بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ)[2].
- كولوسي: (بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ)[3].
عبرانيين: (وَأَيْضاً مَتَى أَدْخَلَ الْبِكْرَ إِلَى الْعَالَمِ)[4].

وبهذه الأمثلة بشهادة غسان خلف يكون معنى "البكر" في النص السالف الذكر بمعنى هو الأول، وعليه يكون معنى النص: أول خليقة الله. هذا مع العلم أن المسيح عليه السلام ليس أول مخلوقات الله وإنما سبقه غيره، ومن ثمة يكون ذلك على معنى أنه كان الأول في علم الله قبل الخليقة.

بقي نص واحد استدل به المسيحيون لصالح قولهم بالمسيح الإله الخالق، وهو: (بَدَاءَةُ خَلِيقَةِ اللهِ)[5]. وقد علق على النص الأسقف غريغوريوس: "وكلمة ARKHE، تفيد: بدْء أو رأس أو رئيس أو مبدئ، بضم الميم وجر الدال... وباللغة العبرية "ريشيت" أي رأس الخليقة، وعلى ذلك فإن المسيح له المجد هو مُبدِئ الخليقة أي بارئها وموجدها من العدم وهو أصل الخليقة أي مصدر الخليقة"[6]. إن الأسقف غريغوريوس يرى بأن النص دليل على أن المسيح هو مصدر الخليقة وأصلها. واحتج بالكلمة العبرية רֵאשִׁית أي رأس الخليقة، لكن بالرجوع إلى المعجم العبري نجد ذلك، معنى فقط من بين معاني أخرى والأسقف مع الآسف لم يكن أمينا في نقله، ومن معاني كلمة רֵאשִׁית:

-"רֵאשִׁית: بداية، بدْء، أول (الشيء)، (مجازا) خير، خيرة، أفضل ما (في الشيء)، باكورة. قبل كل شيء، أولا، السبب الأول لذلك"[7].

من خلال هذه المعاني ليس هناك ما يدل على أن المسيح هو الخالق أو أصل الخلق أو مصدر الخلق.

لذلك ذهب وليم أدي إلى حمل النص على معنيين مع تغليبه المعنى الثاني – وهو مردود عليه- فيقول: "بداءة خليقة الله تحتمل معنيين الأول: أنه أول الخليقة وأجملها بالمعنى الذي أراده يعقوب بقوله لرأوبين: (رَأُوبَيْنُ أَنْتَ بِكْرِي قُوَّتِي وَأَوَّلُ

---

(1) لوقا 7/2.
(2) رومية29/8.
(3) كولوسي 15/1.
(4) الرسالة إلى العبرانيين6/1.
(5) سفر الرؤيا14/3.
(6) "لاهوت السيد المسيح"، غريغوريوس، ص: 721-722.
(7) "יחזקאל קוגמן، מילון עברי – ערבי"، ص: 853.

قُدْرَتِي فَضْلُ الرِّفْعَةِ وَفَضْلُ الْعِزِّ)[1]. والثاني هو أن المسيح أصل الخليقة ومبدعها وكل أسامي المسيح في هذا السفر تدل على لاهوته فلذلك وجب أن نفسره بالمعنى الثاني"[2]. فحمل وليم أدي التفسير على المعنى الثاني مردود عليه لأن سفر الرؤيا سفر مجهول كاتبه وهذا ما قالته "الترجمة اليسوعية": "سفر الرؤيا غير معروف، والدليل هو مقدمة "الترجمة اليسوعية" لهذا السفر إذ تقول: "لا يأتينا سفر رؤيا يوحنا بشيء من الإيضاح عن كاتبه ولم يذكر قط أنه أحد الاثني عشر، هناك تقليد على شيء من الثبوت وقد عثر على بعض أثاره منذ القرن الثاني، وورد فيه أن كاتب الرؤيا هو الرسول يوحنا، بيد أنه ليس في التقليد القديم إجماع على هذا الموضوع، وقد بقي المصدر الرسولي لسفر الرؤيا عرضة للشك"[3]. هذا من جهة، ومن جهة ثانية وجب الوقوف عند النص موضوع الدراسة، فما دام قد قال بالمعنى الأول فيعني أول الخليقة هذا جاء بناء على النص. أما القول بأصل الخليقة فالنص لم يقل بذلك بتاتا، فدل هذا أنه مجرد هروب من المعنى الواضح قصد إثبات أن المسيح هو الخالق.

ومما يؤكد أن المسيح ليس هو الخالق أو أصل الخليقة هو الأصل اليوناني لكلمة ARKHE فكل من الفهرس العربي لكلمات العهد الجديد اليونانية[4]، وكتاب: دليل عربي يوناني إلى ألفاظ العهد الجديد[5]، لم يذكر من مواضع كلمة "بدء" أنها تعني أصل أو مبدئ، وإنما جاءت النصوص على معنى الأول أي البداية. وأقتصر على ذكر بعض الأمثلة وهي:

- متى: (وَلَكِنَّ هَذِهِ كُلَّهَا مُبْتَدَأُ الأَوْجَاعِ)[6].
- مرقس: (هَذِهِ مُبْتَدَأُ الأَوْجَاعِ)[7].
- يوحنا: (هَذِهِ بِدَايَةُ الآيَاتِ)[8].

---

(1) سفر التكوين3/49.

(2) "الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، شرح سفر الرؤيا" وليم أدي، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى بيروت 1973، ص: 27.

(3) الترجمة اليسوعية، مدخل إلى سفر رؤيا يوحنا، ص: 796

(4) "الفهرس العربي لكلمات العهد الجديد اليونانية"، غسان، ص: 113

(5) "دليل عربي يوناني إلى ألفاظ العهد الجديد"، صنفه الأب صبحي حموي اليسوعي، دار المشرق بيروت، ص: 58

(6) متى8/24

(7) مرقس8/13

(8) يوحنا11/2

ومن أراد التوسع أكثر في معرفة باقي الأمثلة يرجع إلى الكتابان السالف الذكر، وليس في تلك النصوص ما يدل على أن كلمة "بدء" تعني أصل أو مبدئ أو خالق. وعليه فربط النصوص السالفة التي اعتقد المسيحيون بأنها تثبت أن المسيح هو الله الخالق، هو في الحقيقة تحريف لمعنى النص وتفسير تعسفي له، لأنه لو كان الأمر كما يعتقدون، لكان النص يقول: خالق خليقة الله، لكن هذا غير حاصل بتاتا، بل لا يستقيم أصلا.

وقد رفض القس الليبي أريوس القول بأن المسيح هو الخالق واعتبره مخلوقا، فكان يقول: "إن الله واحد فرد غير مولود ولا يشاركه أحد في ذاته تعالى، فكل ما كان خارجا عن الله الأحد إنما هو مخلوق من لا شيء بإرادة الله ومشيئته"[1]. لكن هناك من يريد تحريف الحقائق ليؤكد صحة اعتقاده معتبرا أن أريوس يؤمن بأن المسيح هو الخالق، وهذا ما ذهب إليه جوش مكدويل بقوله: "آمن أريوس وأتباعه بوجود المسيح السابق لولادته، وبأنه هو خالق العالم"[2].

إلا أن متتبع أقوال المسيحيين حول أريوس يجد عكس ما قاله مكدويل، وأذكر بعض الأقوال التي تؤكد اعتقاد أريوس بأن المسيح ليس إلها وأنه مخلوق. يقول البابا شنودة تحت عنوان هرطقة أريوس: "كان أريوس ينكر لاهوت المسيح، ويرى أنه أقل من الآب في الجوهر، وأنه مخلوق"[3]. وهو نفس قول القمص الأنطوني الذي قال: "وتنحصر تعاليمه في إنكار لاهوت السيد المسيح وادعائه أنه مخلوق"[4].

وبهذا يكون قد اتضح أن أريوس قد أنكر لاهوت المسيح واعتبر المسيح مخلوقا وليس خالقا، وهذا هو سبب انعقاد مجمع نيقية سنة 325م. يقول منسى يوحنا: "مجمع نيقية ويسمى المجمع المسكوني الأول، وكان الداعي لانعقاده انتشار بدعة أريوس الهرطوقي واضطراب الكنيسة وانزعاج المؤمنين بسببها فكتب القديس الاكسندروس بابا الإسكندرية إلى الملك قسطنطين الكبير طالبا منه عقد مجمع مسكوني...وذهب أوسيوس أسقف قرطبة إلى الملك وطلب منه نفس الطلب فارتضى

---

(1) "فلسفة الفكر الديني بين المسيحية والاسلام"، لويس غرديه، ج. قنواتي، نقله إلى العربية: الشيخ صبحي الصالح، الأب فريد جبر، دار العلم للملايين، ج2، ص: 278

(2) - "حقيقة لاهوت المسيح"، مكدويل، ص: 77

(3) - "طبيعة المسيح"، شنودة، ص: 9

(4) "عصر المجامع، دراسة علمية وثائقية للمجامع المسكونية الكبرى الأربعة الهامة"، القمص كيرلس الأنطوني، تنسيق وتعليق دياكون د. ميخائيل مكسي اسكندر، نشر مكتبة المحبة، ط1، ص: 44

قسطنطين وكتب منشورا يستدعي فيه أساقفة المملكة للاجتماع في مدينة نيقية"[1].
وفي هذا المجمع تم اقرار قانون الإيمان وهو كالآتي:
"نؤمن بإله واحد الله الآب ضابط الكل خالق السماء والأرض، ما يُرى وما لا يُرى. نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد. المولود من الآب قبل كل الدهور نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق مساو للآب في الجوهر الذي به كل شيء هذا الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس وصلب في عهد بيلاطس[2] البنطي تألم وقبر وقام من بين الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب وصعد إلى السماء وجلس على يمين أبيه وأيضا يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات الذي ليس لملكه انقضاء"[3].

قانون الإيمان هذا يحتاج إلى تحليل لأن فيه مجموعة من الأمور تحتاج إلى بيان، وهو كالآتي:

- "نؤمن بإله واحد الله الآب": يتضح من هذا أن هناك إلها واحدا هو الله الآب، وعليه فقولهم الله = الآب+ الابن + الروح القدس، وهؤلاء الثلاثة واحد مردود "بقانون الإيمان"، الذي اعتبر هناك إلها واحدا هو الآب، أي ليس هناك إله آخر. والمسيح عليه السلام كما في يوحنا قال: (وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ)[4]. هذا النص يوجد في ترجمة قديمة تعود إلى سنة 1591 بصيغة رائعة وأكثر تعبيرا.

فالمسيح قال "أنت الله الحق وحدك" ولم يقل "أنت الآب" وهذا تعبير دقيق لأنه لو قال الآب فإن ذلك يعتبر حجة لدى المسيحيين باعتبار أن الآب هو أقنوم من الأقانيم المكونة لله. لكن النص لم يترك هذه الإمكانية لهم.

---

(1) - "تاريخ الكنيسة القبطية"، الشماس منسى يوحنا، نشر مطبعة اليقظة مصر، ط1، 1924، ص: 250

(2) بيلاطُسَ: (يو19: 1) ويلقب بالبنطي، باللاتينية بنطيوس (مت27: 2 (هو وال أقامته الحكومة الرومانية نائبا أو حاكما على اليهودية في سنة 29 مسيحية. واستمر حكمه بضع سنين إلى ما بعد صعود مخلصنا، وكانت قيصرية مركز ولايته. وكان يصعد إلى أورشليم إلى دار الولاية فيقضي للشعب هناك (يو18: 28). ينظر: قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من اللاهوتيين، ص: 207-208

(3) "تاريخ الكنيسة القبطية"، الشماس منسى يوحنا، ص: 257، ولمزيد من التفاصيل ينظر أيضا كتاب: "عصر المجامع"، كيرلس.

- يوحنا3/17(4)

- "ضابط الكل خالق السموات والأرض": يعني الله الحق كما سماه المسيح هو الذي ضبط الكل وخالق السموات والأرض، وهذا في الحقيقة رد قوي على قولهم: إن المسيح هو الخالق كما أسلفت داحضا ذلك.
- "نؤمن برب واحد يسوع": الرب حينما تطلق على المسيح تأتي بمعنى سيد أو معلم، كما يطلق لفظ الرب على الله، جاء في أعمال الرسل: (الإِلَهُ الَّذِي خَلَقَ الْعَالَمَ وَكُلَّ مَا فِيهِ هَذَا إِذْ هُوَ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ)[1]، فالله سمي هنا رب السماء والأرض ولا يمكن ربط هذا بالمسيح فالله هو رب وخالق السماء والأرض كما شهد "قانون الإيمان". والمسيح عليه السلام نادى الله باسم الرب فقال في متى: (فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: «أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ)[2]. أما إطلاق لقب الرب على المسيح فكان بمعنى معلم أو سيد، وأوضح نص هو: (فَالْتَفَتَ يَسُوعُ وَنَظَرَهُمَا يَتْبَعَانِ، فَقَالَ لَهُمَا: «مَاذَا تَطْلُبَانِ؟» فَقَالاَ: « رَبِّي، الَّذِي تَفْسِيرُهُ: يَا مُعَلِّمُ)[3]. وسيأتي المزيد في معرض الحديث عن نسبة ألقاب الله إلى المسيح.
- "المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور نور من نور": يستدلون على كون المسيح ابن الله الوحيد بما جاء في يوحنا: (اَللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلاِبْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ)[4]. وهذا النص قد تعرض للتحريف فقد جاء في الترجمة العربية المشتركة هكذا: (ما مِنْ أحدٍ رأى الله. الإلهُ الأوحَدُ الذي في حِضن الآبِ هوَ الذي أخبَرَ عَنهُ). هذا التغيير في النص يتصادم مع الكتاب المقدس فالمسيح كما مر قال: (وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ).

لكن ما هو سبب هذا التغيير؟ يجيب بارت إيهرمان: "مصطلح "الإله الوحيد" لابد وأنه يشير إلى الله الآب نفسه ـ وإلا فهو ليس فريدا من نوعه. إلا أنه لو كان التعبير يشير إلى الآب، فكيف يتم استخدامه للدلالة على الابن؟ لو سلمنا بأن عبارة إنجيل يوحنا "الابن الوحيد" هي الأكثر شيوعا (وقابلية للفهم)، فمن الواضح أن تلك العبارة هي التي كان عليها النص المكتوب في يوحنا1 :18 في شكله الأصلي. هذا النص بحد ذاته ما يزال يمثل رؤية أكثر تمجيدا للمسيح ـ فهو "الابن الوحيد الذي في حضن الآب". وهو الشخص الذي يجعل الله ظاهرا لكل إنسان آخر. يبدو، مع ذلك، أن بعض النسّاخ لم يكونوا سعيدين حتى بتلك الرؤية الممجدة للمسيح، ولذلك جعلوا

---

(1) - أعمال الرسل 24/17

(2) - متى25/11

(3) - يوحنا38/1

(4) - يوحنا18/1

منها أكثر تمجيدا من ذي قبل، من خلال تحريف النص. الآن المسيح ليس ابن الله الوحيد فحسب، بل هو الإله الوحيد نفسه"[1].

هكذا يتضح أن النساخ لم يجدوا في نص يوحنا التعبير الأدق لاعتقادهم بألوهية المسيح، فقاموا بتحريف النص من الابن الوحيد إلى الإله الأوحد. وهذا منهج غير علمي، فكيف يتم تغيير النص ليتماشى مع الاعتقاد، فالأصح أن يبنى الاعتقاد على النص الأصل دون تغيير.

- "إله حق من إله حق": وهذا لا يستقيم مطلقا، فكيف يكون إله ولد إلها؟ وكيف يكون هناك إلهان؟ والمسيح نفسه نادى الله باسم: أنت الإله الحقيقي وحدك.

- "مولود غير مخلوق": هذا التعبير مردود، لأن المسيح مخلوق يقول الأسقف غريغوريوس: "نعم إن جسد المسيح مخلوق، وهو حادث في الزمن، وذلك لأنه لم يكن سابقا موجودا ثم وجد في زمن التجسد فجسد المسيح ليس أزليا، أما الأزلي الأبدي فهو لاهوته... فالجسد إذن مخلوق، لأنه لم يكن موجودا من قبل ثم أوجده الله في الزمان المحدود"[2].

وعلى هذا القول تكون مريم ولدت بشرا وليس إلها متأنسا، وكأن الأسقف غريغوريوس يرد على نفسه بل يناقض نفسه لأنه هو القائل سابقا أن مريم ولدت إلها وهذا هو قوله للأمانة العلمية: فمتى ولدت العذراء فمولودها هو الإله.

وللتهرب من السقوط في التناقض بين القول أن المسيح مخلوق وبين "قانون الإيمان" القائل "مولود غير مخلوق" يقولون: "لعل يا صديقي مازال أحد يتساءل: أليس القول بأن جسد المسيح مخلوق يتعارض مع ما جاء في قانون الإيمان الذي يقول " مولود غير مخلوق"؟: فنجيبه بهدوء شديد قائلين إن قانون الإيمان يحدثنا عن طبيعتي المسيح، إذ تكلم أولًا عن لاهوت المسيح قائلًا "نؤمن برب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء" فهذا ينطبق على اللاهوت الأزلي المولود من الآب والمساو له ولا ينطبق على الناسوت"[3].

---

(1) Misquoting Jesus, the story behind Who Changed the Bible and Why ? BART D. EHRMAN, Harper San Francisco A Division of Hanper Collins Publishers, p:162

(2) "اللاهوت العقيدي سرى التجسد والفداء"، غريغوريوس، ص: 166

(3) "كتاب حتمية التجسد الإلهي"، كنيسة القديسين مار مرقس والبابا بطرس - سيدي بشر – الإسكندرية: جسد المسيح حسب أقوال الآباء كتاب الكتروني من موقع:

إن هذا القول زاد في تناقض "قانون الإيمان" فيما يخص هذه الجزئية، فالكاتب لم يقدم الدليل على أن ذلك – مولود غير مخلوق- خاص باللاهوت. فكيف أن اللاهوت مولود غير مخلوق؟ فهل هناك أكثر من لاهوت؟ و هل يستقيم القول بأن اللاهوت ولد اللاهوت!؟ طبعا لا؛ لأنهم يقولون إن اللاهوت اتحد بالناسوت وهذا يعطي طبيعة واحدة للمسيح أي الإله المتأنس. وعليه يكون القول "إله حق من إله حق" هو تناقض. والحل الوحيد هو أن المسيح مخلوق، وبهذا فقولهم مولود غير مخلوق لا معنى له.

- "مساوي للآب في الجوهر": دليلهم في هذا قول المسيح: (أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ)[1]. يبدو هذا النص لإنسان بسيط أنه حجة قوية، إلا أنه بعد قراءة النص يتضح الأمر، يقول عزت الطهطاوي: "أصل القول المنقول عن المسيح بإنجيل يوحنا10عدد30 ينقصه جزء آخر مكمل له لا يتم المعنى إلا به، ألا وهو ما ورد بنفس الإصحاح10 من إنجيل يوحنا عدد27 وهو هكذا: (خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتْبَعُنِي. 28وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي. 29أَبِي الَّذِي أَعْطَانِي إِيَّاهَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ، وَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطَفَ مِنْ يَدِ أَبِي. 30أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ).

يعلق عزت الطهطاوي قائلا: "فقوله: "أنا والآب واحد"، يقصد به في إرادة الخير والهداية لهؤلاء الخراف، وفي عدم مقدرة المضلين أن يخطفوا الخراف المذكورة، لا من يد الله ولا من يد المسيح، حيث إن المسيح أيضا قوي بربه عز وجل. وهذا هو المعنى الذي يرمي إليه المسيح من كلامه المذكور لأنه نفى:

أولا: خطف الخراف من يده.

ثانيا: ثم نفاه من يد الله.

**ثالثا:** ثم سوَّى بينه وبين الله، علما أن هذه التسوية هي موضوع عدم خطف الخراف"[2]. وبالتالي فالنص ليس له علاقة بالمساواة في الجوهر لذلك عمد المسيحيون إلى بتر جزء من النص للتأكيد على اعتقادهم إلا أن سياق النص لم يترك لهم ذلك.

- "الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء": ودليلهم على نزول المسيح من السماء هو قول

---

http://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-021-Sts-Church-Sidi-Beshr/002-Hatmeyat-Al-Tagasod-Al-Ilahy/Inevitability-of-the-Incarnation__33-Jesus-Body-Patrology.html

(1) إنجيل يوحنا30/10

(2) "النصرانية في الميزان"، محمد عزت الطهطاوي، نشر دار القلم، ص: 161-162.

يوحنا: (وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ)[1]. يعلق يعقوب ملطي على النص بقوله: "من هو ابن الإنسان الذي نزل من السماء؟ بالتأكيد اللاهوت، الذي ينسب لنفسه إنه ابن الانسان كعلامة وحدة طبيعته"[2]، الكاتب حصر النص هنا فقط على اللاهوت مع العلم أن النص لا يخول له ذلك بل قال ابن الإنسان. وذهبت "الموسوعة الكنسية" إلى تفسير النص على أساس التجسد قائلة: "هو أنه الإله المتجسد، النازل من السماء والصاعد إلى السماء في نفس الوقت"[3].

إلا أن كلا التفسيرين غير صحيح، لأن اللاهوت في اعتقادهم موجود في كل مكان يقول شنودة: "أما اللاهوت، فإنه لا يرتفع إلى السماء ولا يصعد، إنه موجود في السماء، وفي الأرض، وما بينهما، ولا ينتقل من مكان إلى مكان، لأنه موجود في كل مكان، في نفس الوقت.. فإن قيل عن الناسوت إنه صعد جسديا، وقيل عن اللاهوت إنه لا يصعد، فلا يعني هذا إطلاقا انفصال اللاهوت عن الناسوت ! فلاشك أن السيد حينما صعد إلى السماء بالجسد، كان لاهوته متحدا بناسوته بغير انفصال، ولكن نسب الصعود إلى الناسوت فقط، لأن الصعود ليس من خواص اللاهوت الموجود في كل مكان"[4]. كلام البابا يدحض قول يعقوب ملطي وتفسير "الموسوعة الكنسية"، بدليل أن اللاهوت غير محدود وعليه، فالنص يتعلق بالناسوت. إلا أن البابا نفسه وقع في خطأ، عندما قال: فلاشك أن السيد حينما صعد إلى السماء بالجسد، كان لاهوته متحدا بناسوته بغير انفصال. وبناء على قوله هذا، يجوز أن ينسب إلى اللاهوت النزول والصعود نظرا لاعتقاده بعدم انفصال الناسوت عن اللاهوت.

وخلاصة التعليق على هذه الأقوال أن المفسرين المسيحيين يحاولون ربط كل نص بالمسيح ليثبتوا أنه هو الله، إلا أن المشكل في هذا هو اعتماد منهج غير سليم في التعامل مع النصوص والمتمثل في التفسير التعسفي للنص. والنص السابق لم يفلحوا في فهمه؛ لأن المسيح عليه السلام لم ينزل من السماء وإنما ولدته مريم العذراء. ومن ثمة فهو مخلوق.

---

(1) يوحنا13/3 .

(2) "الاصطلاحان طبيعة وأقنوم في الكنيسة الأولى"، يعقوب ملطي، ص: 30.

(3) "الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد بشارتي لوقا ويوحنا"، ص: 302.

(4) "بدعة حديثة"، البابا شنودة، ط1، 2006 مصر، ص: 171.

- "تأنس وصلب في عهد بيلاطس البنطي تألم وقبر وقام من بين الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب"[1].

- "صعد إلى السماء وجلس على يمين أبيه": الذي صعد إلى السماء هو المسيح بناسوته ولاهوته، وقبل الرد على هذا الجزء من "قانون الإيمان"، نترك الأسقف غريغوريوس يشرح ذلك بقوله: "إن الكتاب المقدس يبين لنا أن المسيح له المجد بعد أن صعد إلى السماء جلس على العرش في السماء.. والجلوس على العرش ينسب إلى المسيح لا من حيث لاهوته، فاللاهوت غير محصور وغير محدود بعرش أو كرسي، كذلك فعل الجلوس لا ينسب إلا لمن له جسد"[2]. ودليله في ذلك ما جاء في كل من لوقا وأعمال الرسل، فقد ورد في لوقا: (ثُمَّ إِنَّ الرَّبَّ بَعْدَمَا كَلَّمَهُمُ ارْتَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ، وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ اللَّهِ)[3]. وجاء في أعمال الرسل: (وَأَمَّا هُوَ فَشَخَصَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ مُمْتَلِئٌ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ فَرَأَى مَجْدَ اللهِ وَيَسُوعَ قَائِماً عَنْ يَمِينِ اللهِ. 56فَقَالَ: «هَا أَنَا أَنْظُرُ السَّمَاوَاتِ مَفْتُوحَةً وَابْنَ الإِنْسَانِ قَائِماً عَنْ يَمِينِ اللهِ)[4]. يعلق الأسقف على النصين قائلا: (والجلوس عن يمين الله معناه الجلوس على عرش الله في الملكوت، لأن اللاهوت غير محدود فليس له يمين أو شمال)[5].

المدقق في النصوص وتعليق الأسقف يكتشف ما يلي:

- أن هناك حملا للنص على غير محمله، فالنصوص واضحة تقول جلس على يمين الله" وليس على يمين العرش.
- قوله جلس بناسوته وليس بلاهوته يطرح مشكل للأسقف الذي قال سابقا في أحد كتبه ضمن "الموسوعة": "إن الاتحاد بين لاهوت المسيح وناسوته أي إنسانيته، اتحاد تام وحقيقي وكامل فإنه لا يقبل المفارقة أو الافتراق لحظة واحدة أو طرفة عين"[6]. ومن ثمة فإذا جلس بناسوته فقط، فيعني أن هناك افتراقا، وهذا يعد طعنا في إيمان المسيحيين.
- "قانون الإيمان" قال بصراحة: صعد إلى السماء وجلس على يمين أبيه. فهل العرش يعتبر أب المسيح؟ طبعا لا فليس هناك نص يقول بهذا. وتعبير

---

(1) عقيدة صلب المسيح، هي عقيدة دخيلة على المسيحية، ومن يتتبع روايات الأناجيل حولها سيخرج بخلاصة أن الصلب لم يحدث البتة. وسوف أتطرق لهذا الموضوع بشكل مفصل في كتاب مستقل.

(2) "لاهوت السيد المسيح"، غريغوريوس، ص: 712

(3) مرقس19/16

(4) أعمال الرسل7/55-56

(5) "لاهوت السيد المسيح"، غريغوريوس، ص: 713

(6) " "اللاهوت العقيدي سرى التجسد والفداء"، غريغوريوس، ص: 146

"قانون الإيمان" هو أيضا غير منطقي فكيف يجلس المسيح وهو الله المتجسد على يمين الله أبيه، فهل هناك إله بجانب إله؟ هذا ما على المسيحيين الإجابة عنه.